

جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين



المذهبية الفقهية وأثرها على الدعوة في عصر المرابطين والموحدين ببلاد المغرب والأندلس بين القرنين (5ه/7ه)

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية – تخصص: دعوة وثقافة إسلامية

الطلبة:

* فوزي زغدي
* مفتاح ديدي
* صلاح الدين زغدي
* أحمد صهيب باي

المشرف:

* د.عبد الرحمن طيبي

السنة الجامعية: 1438– 1439ه/ 2017– 2018م

إهداء

أهدي عملي هذا إلى أبي الغالي أدامه الله تاجاً فوق رأسي،

إلى أمي الغالية أطال الله في عمرها،

إلى من ساندتني وشجعتني وانشغلتُ عنها خلال إنجاز بحثي زوجتي الغالية

إلى روح فؤادي أبني أمين وبنتي نور اليقين

إلى إخوتي الأعزاء وأخواتي العزيزات

إلى من وافق على إنجاز هذا العمل فكان مصححًا وموجهًا وناصحًا

الدكتور عبد الرحمن طيبي

وإلى كل من علمني حرفًا خلال مشواري الدراسي الجامعي

وإلى كل الأصدقاء والزملاء والأصحاب

إليكم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع.

فوزي زغدي

إهداء

أهدي عملي هذا إلى أمي وأبي سببا وجودي في هذه الحياة

إلى من كانت سببا في عودتي للدراسة عشرة سنوات زوجتي وأم أولادي

إلى من وافق على إنجاز هذا العمل فكان مصححًا وموجهًا وناصحًا

الدكتور عبد الرحمن طيبي

وإلى كل من علمني حرفًا خلال مشواري الدراسي الجامعي

وإلى كل الأصدقاء والزملاء والأصحاب

إليكم جميعًا أهدي هذا العمل المتواضع.

مفتاح ديدي

إهداء

الحمد لله الذي هداني وسددني إلى هذا العمل، والذي أهديه :

إلى أغلى ما في الوجود، إلى من أنارت دربي بدعواتها، وكانت العون لي

إلى من علمتني معنى الإخلاص، إلى من علمتني معنى الحب والصدق والوفاء

إلى نبع الحنان إلى أغلى ما أملك في الوجود .... أمـــــــــي.

إلى العبد الصالح وفاءًا بحقه وعرفانا بفضله إليك يا والدي العـــــزيز. يا من تعبت من أجلي، ويا من أنت الأب والأخ والصديق إليك أبي العـــــزيز.

إلى إخوتي الأعـــزاء   إلى أخـواتي العزيزات

إلى كافـــــة زملائي في الدراسة والعمل

إلى زوجتي الكريمة وإلى فلذات أكبادي إيناس، رونق

صلاح الدين زغدي

إهداء

إلَى عُلمَاءِ الأمةِ ومُصلحيها، إلَى منْ يعيشُ لهَا؛ توعيةً لرجالها وإنارةً لعقُولِ أبنائها

زارِعًا الأملْ مُتكبِدًا فيْحَ مشقةِ العمَلْ ..

إلَى كُلِّ رُوحٍ قضتْ نحبها في سبيل الدعوة وَ الكلمة الحَّقْ.

إلَى منْ يقِفُ الحرْفُ عندها خجلاَ؛ مخافةَ التقصير في حقّها " أمّي الحبيبة ".

إلَى مُتكَئِي بالحياة وسندِي في عملِ البرِّ والخير " أبتي العزيز "

إلَى منْ تُقاسِمُني النجآح وتدعُوا ليَ الله في كُل مسلكٍ وطريقْ

" زوجتي الغالية ".

إلَى جميع إخوتي وأخواتي، وكُلْ رفقاء دربي بالحياة ..

إلَى أُستاذِي ووليُّ نِعْمتى والقائِمْ على توجيهي " الدكتور عبد الرحمن طيبي "

أهدِي لهُم جميعًا قِطافَ هذا العمَلْ وباكُورة هذا الجُهد.

باي أحمد صهيب

شكر وتقدير

الحمد لله العلي العظيم الذي منَّ عليَّنا بنعمه فألهمنا روح الصبر

والمثابرة لإتمام هذا البحث،

وما كان ليتم لولا فضله وتوفيقه، فنشكره شكرَا عظيمًا يليق بجلال

وجهه وعظيم سلطانه وبعد:

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب

أو من بعيد على إنجاز هذا البحث، وبالأخص أستاذنا وقدوتنا الدكتور "عبد الرحمن طيبي"،

لما قدمه لنا من ملاحظات ونصائح قيّمة في كل خطوة من خطوات البحث،

أدامه الله ذخرًا للعلم وأطال لنا في عمره،

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى كل أساتذة معهد العلوم الإسلامية

بجامعة حمة لخضر بالوادي على ما قدموه لنا من علوم،

وإلى كافة أساتذة سنة ثالثة دعوة وثقافة إسلامية.

فوزي زغدي

مفتاح ديدي

صلاح الدين زغدي

أحمد صهيب باي

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

تعتبر المذاهب الفقهية بمثابة المدارس العلمية التي تؤدي إلى فهم النصوص الشرعية واستنباط الأحكام الفقهية التي يحتاجها المسلمون في نوازلهم وما يستجد في حياتهم إلى معرفة الحكم الشرعي المناسب لها، اعتمادا على قواعد علمية وضوابط محكمة، غير أن بعض المنتسبين لهذه المدارس وغير الواعين بفقه الخلاف حوّلوها لصراع مذهبي ألقى بظلاله على الدعوة وأثّر عليها، ومن بين البقاع التي شهدت هذا الصراع وكانت مسرحا له بلاد المغرب والأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين بين القرنين الخامس والسابع للهجرة.

أهمية الموضوع: تكمن أهمية الموضوع في:

1- معرفة حقيقة المذاهب الفقهية من حيث النشأة، بأنها ليست وليدة اليوم بل من عهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

2- توضيح كيف وصلت هذه المذاهب ومن الذي أدخلها إلى بلاد المغرب والأندلس حسب الترتيب الزمني.

3- دراسة ذلك الصراع الفقهي يساعدنا على فهم الصراعات القائمة في زماننا هذا لأن سنن الله الكونية ثابتة لا تتغير ولا تحابي أحداً.

4- إظهار حقيقة الصراع القائم بين المذاهب في تلك الحقبة وما انجر عنه من مخلفات أو سموم مازلت قائمة إلى يوم الناس هذا.

الإشكالية: -كيف أثرت المذهبية الفقهية على الدعوة في عصر المرابطين والموحدين ببلاد المغرب والأندلس؟

أسباب إختيار الموضوع: تمثلت في أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، كما يأتي:

أ- أسباب ذاتية:

1- بما أننا جزائريين ننتمي إلى المغرب العربي حفزنا هذا الموضوع لمعرفة تاريخنا الديني.

2- تعلقنا الكبير بعلم الفرق والمذاهب.

3- إثراء زادنا المعرفي بدراسة تاريخ المذاهب وانتشارها ببلاد المغرب والأندلس.

ب- أسباب موضوعية:

1- الدور المهم الذي لعبته هذه المنطقة في نشر الإسلام في إفريقيا والعالم.

2- أهمية بلاد المغرب والأندلس وبالأخص في الفترة ما بين القرن 5هـ إلى القرن 7هـ من حيث الزاد العلمي والأدبي الذي خلفه علماء هذه المنطقة كأبي بكر بن العربي وأبي وليد الباجي والقاضي عياض وغيرهم من كبار علماء هذه المنطقة في الفترة ذاتها.

3- أيضا ما عرفته هذه المنطقة من فتوحات إسلامية وحروب ذات الطابع المذهبي بين دولة المرابطين ودولة الموحدين.

4- البحث عن معرفة أسباب تغلب وسيطرة المذهب المالكي على غيره من المذاهب في المنطقة والعصر.

5- التنوع المذهبي الذي كانت تتميز به هذه المنطقة.

6- إن المميزات الفعالة التي تمتلكه المذاهب في التأثير على الشعوب ذات التنوع الثقافي والحضاري يعتبر ذا أهمية بالغة في نشر الدعوة إلى الله تعالى.

أهداف الموضوع: يهدف الموضوع إلى ما يأتي:

1- كشف اللبس عن ما قيل حول حقيقة المذاهب الفقهية ونشأتها.

2- معرفة مظاهر التطور الحضاري الذي ميز عصر دولتي المرابطين والموحدين.

3- معرفة المذاهب الفقهية التي دخلت لبلاد المغرب والأندلس، والسائدة بهذه المنطقة في الفترة ذاتها.

4- الاطلاع على ما خلفته المذهبية الفقهية من آثار في بلاد المغرب والأندلس بين القرن 5هـ و7هـ، وما بقي منها من مخلفات إلى يوم الناس هذا.

منهج البحث: لقد إتبعنا المنهج التاريخي من خلال وصف وسرد الأحداث التي وقعت في تلك الفترة بين فقهاء المذاهب السائدة في دولتي المرابطين والموحدين، كما إعتمدنا المنهج التحليلي من خلال تحليل الأحداث والوقائع وأقوال الفقهاء.

حدود البحث: لم نتناول كل المذاهب الفقهية الذي دخلت المغرب والأندلس في تلك الفترة، بل تطرقنا لكل من مذهب الأوزاعي و الحنفي والمالكي والظاهري والشَّافِعِيُّ والحنبلي فقط، وهذا راجع لحجم المذكرة.

الخطة: تتكون الخطة من مبحثين فالأول تحدثنا فيه عن المذهبية الفقهية في عصر المرابطين والموحدين ببلاد المغرب والأندلس بين القرن 5هـ و7هـ، وذلك من خلال أربعة مطالب، فالمطلب الأول تكلمنا فيه عن تعريف المذهبية لغةً واصطلاحاً، بينما الثاني تطرقنا فيه إلى نشأة هذه المذاهب ببلاد المغرب والأندلس، وفي المطلب الثالث تناولنا فيه نشأة دولة المرابطين والموحدين، أما المطلب الرابع والأخير تحدثنا فيه عن المذاهب الفقهية في عصر المرابطين والموحدين، بينما المبحث الثاني تكلمنا فيه عن أثر المذهبية الفقهية في عصر المرابطين والموحدين ببلاد المغرب والأندلس بين القرن 5هـ و7هـ في ستة مطالب، فالأول تناولنا فيه توحيد الصف وجمع الكلمة، والثاني عن ازدهار الحوار وعلم الجدل والمناظرة بين المالكية والظاهرية، أما المطلب الثالث تطرقنا فيه إلى التعصب المذهبي، بينما الرابع عن التقليد، والخامس عن الغلو، والمطلب السادس والأخير تكلمنا فيه عن تخلي بعض العلماء عن القيام بواجباتهم.

مصادر ومراجع البحث: ونذكر منها: كتاب نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة لأحمد تيمور باشا، ودولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان وغيرهما من المراجع المهمة.

صعوبات البحث: تمثلت هذه الصعوبات في:

1- صعوبة التنسيق بين آراء وأفكار الباحثين في هذا المجال.

2- عدم وجود مراجع تطرقت للآثار التي خلفتها المذهبية الفقهية على الدعوة ببلاد المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين.

3- صعوبة التقيد بعدد صفحات المذكرة المحدد من طرف الإدارة مع كبر حجم الموضوع.

المبحث

الأول

المبحث الأول: المذهبية الفقهية في عصر المرابطين والموحدين ببلاد المغرب والأندلس بين القرن (5هـ/7هـ)

إن الحديث عن المذهبية الفقهية في أي عصر كان لابد أولا أن نعرف معناها ثم ظروف البيئة التي نشأت فيها، وذلك كما يأتي:

المطلب الأول: تعريف المذهبية

في هذا المطلب سنتكلم عن معنى المذهبية من الجانب اللغوي، ثم التطرق إليها من الجانب الاصطلاحي.

أولا- المذهبية لغةً:

وترجع المذهبية إلى الفعل الثلاثي (ذهب) بمعنى مضى[1]، وقال صاحب المصباح: "ذَهَابًا وَذُهُوبًا وَمَذْهَبًا مَضَى وَذَهَبَ مَذْهَبَ فُلَانٍ قَصَدَ قَصْدَهُ وَطَرِيقَتَهُ وَذَهَبَ فِي الدِّينِ مَذْهَبًا رَأَى فِيهِ رَأْيًا"[2]. ولقد جاء في القاموس المحيط في اللغة "المُذْهَبُ: الشَّيْءُ المِطْلِيُّ بالذَّهَب. وذَهِبَ الرَّجُلُ ذَهَباً: تَحَيَّرَ في الذَّهَبِ والمعْدِن، والمذَاهِبُ: جُلُوْدٌ تُذَهْبُ، واحِدُها مُذْهَبٌ، وهي البُرُوْدُ المَوَشّاةُ أيضاً. والمذَهَّبُ: شَيْءٌ يُكْتَبُ فيه. والذِّهَابُ والذُّهُوب: لُغَتَانِ. والمِذْهَبُ: مَصْدَرُ الذَّهَاب، واسْمٌ للمَوْضِع، ووَقْتٌ من الزَّمان، والمتَوَضَّأ بلُغَةِ أهل الحِجاز. والذَّهْبَةُ: المرَّةُ الواحِدَةُ من الذَّهاب. ويقولون: ذَهَبَ لِذَهَبِهِ: أي لِمَذْهَبِهِ الذي يَذْهَبُ إليه"[3].

---

1 – ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، مادة "ذهب"، دط، 1399هـ/1979م، دار الفكر، ج2، ص:362.

2 – أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة "ذهب"، د.ط، د.ت، المكتبة العلمية، بيروت، ج2، ص:210.

3 – الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، د.ط، د.ت، المكتبة الشاملة، ت التصفح:2017/12/23م، س:17:30، ج1، ص:304.

كما جاء أيضا في تاج العروس من جواهر القاموس"(ذهب كمنع) يذهب (ذهابا) بالفتح ويكسر مصدر سماعي (وذُهوبا) بالضم، قياسي مستعمل (ومذهبا، فهو ذاهب وذهوب)"[1]، وجاءت أيضا بمعنى الخلاء فعن "الكسائي: يقال لموضع الغائط: الخلاء والمذهب والمرفق، والمرحاض، وهو لغة الحجازيين. ومن المجاز: المذهب: (المعتقد الذي يذهب إليه) وذهب فلان لذهبه أي لمذهبه الذي يذهب فيه. والمذهب (الطريقة) يقال: ذهب فلان مذهبا حسنا، أي طريقة حسنة، والمذهب: (الأصل) حكى اللحياني عن الكسائي: ما يدرى له أين مذهب، ولا يدرى له مذهبه أي لا يدرى أين أصله"[2].

وفي لسان العرب: ذَهَبَ به وأَذهَبَه غيره أَزالَه ويقال أَذْهَبَ به قال أَبو إِسحق وهو قليل فأَمَّا قراءة بعضهم يَكادُ سَنا بَرْقِهِ يُذْهِبُ بالأَبْصار فنادِرٌ وقالوا ذَهَبْتُ الشَّامَ فعَدَّوْهُ بغيرِ حرفٍ وإِن كان الشامُ ظَرْفاً مَخْصُوصاً شَبَّهوه بالمكان المبْهَم إِذ كان يَقَعُ عليه المكانُ والمذْهَبُ[3].

ومما سبق يتضح لنا أن التعريف اللغوي الأقرب لدراستنا هو: ما جاء في المصباح المنير: (ذهب مذهب فلان: قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهبا رأى فيه رأيا).

ثانيا- المذهبية اصطلاحاً:

يقصد "بالمذهبية إذا أطلقت أريد بها معنيان: معنى عام، ومعنى خاص.

1- المعنى العام للمذهبية: المذهبية الإسلامية تُعنى بـ: كليات الإسلام في الخالق والكون، والعالم والإنسان واليوم الآخر.

فالمذهبية إذا بمعناها العام هي: كلمة مرادفة للتصور الإسلامي، غير أن المذهبية أوسع وأشمل من التصور.

والمذهبية بهذا المعنى خارجة عن مجال هذه الدراسة.

---

1 - محمّد مرتضى الحسني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت:علي هلالي، مراجعة: عبد الله العلايلي وعبد الستار أحمد فراج، ط2، 1407هـ/1987م، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ج2، ص:449.

2 - المرجع نفسه، ص:450.

3 - محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، ط1، د.ت، دار صادر، بيروت، ج1، ص:(393-395). بتصرف

2- **المعنى الخاص للمذهبية**: المذهبية من المصطلحات الحديثة والتي يراد بها:-تقليد طائفة من الناس لإمام معين في آرائه واجتهاداته، وكذلك اجتهادات الفقهاء الذين أخذوا بمنهج هذا الإمام في البحث الفقهي"[1].

وعرفها جبريل ميغا "اتخاذُ عالمٍ مذهبَ مجتهدٍ مذهباً له، يتَّبِعُه ويلتزمه في الأصول والفروع، دون غيره من مذاهب المجتهدين الآخرين، أو انتساباً فقط"[2].

كما يقصد بها "أن يقلد العامي مذهبَ إمامٍ مجتهدٍ، سواء التزم مذهب إمام واحدٍ، أم تنقل بين المذاهب"[3].

كما عرفها سعيد رمضان البوطي بأن:"يقلد العامي، أو من لم يبلغ درجة الاجتهاد مذهب إمام معين سواء التزمه بعينه، أو عاش يتحول من مذهب إلى آخر"[4].

ومما سبق من التعريفات يتضح لنا أن التعريف الأول شمل العالم المتبع والملتزم والعامي المنتسب والمقلد للمجتهد في الأصول والفروع دون غيره من المذاهب الأخرى، وهو التعريف الأشمل والأدق للمذهبية.

---

1 - مليكة صوالح، الانسلاخ من المذاهب الفقهية حقيقته-أسبابه وآثاره في الفقه الإسلامي (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله)، 1426-1427هـ/2005-2006م، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر، ص:19 و20.

2 - جبريل بن المهدي بن علي ميغا، دراسة تحليلية مؤصلة لتخريج الفروع على الأصول عند الأصوليين والفقهاء (دراسة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في أصول الفقه)، 1421هـ-1422هـ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ج2، ص:733.

3 - نقلا عن: سيف بن علي العصري، مقال بعنوان: مقدمات فقهية نافعة، المقدمة الثالثة: الفرق بين التمذهب والتعصب، ت المقال:2006/27/06م, س:08:17، أرشيف ملتقى أهل التفسير 8، المكتبة الشاملة، ت التصفح:2017/12/05م، س:17:56، ص:649.

4 - محمد سعيد رمضان البوطي، اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، د.ط،1990م، دار الهدى، الجزائر، هامش ص:13 و14.

المطلب الثاني: نشأة المذاهب الفقهية ببلاد المغرب والأندلس

إن نشأة المذاهب الفقهية كانت نابعة من المدارس الموجودة في تلك العصور، فأعلام المذاهب وأئمتها تخرجوا فيها، ورأس المدارس الفقهية آنذاك مدرستان:

"**أولا– مدرسة الأثر**: كان مقرُّها في الحجاز، وفي مدينة النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الخصوص، ويرجع فقه هذه المدرسة إلى عددٍ من الصحابة رضي الله عنهم، ومن أشهرهم: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، ومن التابعين: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وغيرهم.

ثانيا– مدرسة الرأي: كان مقرُّها في العراق، وفي الكوفة على وجه الخصوص، وورثت علم عدد من الصحابة رضي الله عنهم، من بينهم: عمر بن الخطاب، وعبد الله بن مسعود، وغيرهم في فتاويهم وأقضيتهم، ومن التابعين: إبراهيم النخعي كان حاملَ لواء مدرسة الرأي"[1].

يقول ابن رجب الحنبلي:(فاقتضت حكمة الله سبحانه أَنْ ضَبَطَ هذا الدين وحفظَه بأن نَصَبَ للناس أئمة مجتمعاً على علمِهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى، مِنْ أهلِ الرأي والحديث)[2]، ويقول محمد أبو زهرة: (اختلفت الآراءُ الفقهية، وتكونت من هذا الاختلاف مدارس فقهية، ثم تبلورت المدارس فصارت مذاهب فقهية)[3]، ومن هذه المذاهب التي دخلت المغرب والأندلس، نذكر منها:

1– مذهب الأوزاعي: لقد "عرفت الأندلس بعد افتتاحها انتشار المذهب الأوزاعي، نسبة إلى صاحبه عبد الرحمان بن عمرو بن يحمد من قبيلة أوزاع، إذ كانت الفتيا بالأندلس تدور برأيه، ويعود ذلك إلى أسباب أبرزها: عِظم أمر الأوزاعي في الشام، ولأن غالبية العرب الذين شاركوا في فتح الأندلس والذين استوطنوها فيما بعدما كانوا من الشاميين فإنهم أدخلوا معهم هذا المذهب، وتبني الحكام الأمويين في الأندلس للمذهب الأوزاعي وبخاصة عبد الرحمان بن معاوية

1– خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمذهب دراسة نظرية نقدية، ط1، 1434هـ/2013م، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، مج2، ص:632 وما بعدها. بتصرف

2 – ابن رجب الحنبلي، الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة، قراءة وتقديم: مركز المربي للاستشارات التربوية والتعليمية، ط1، 1437هـ/2016م، المربي، المملكة العربية السعودية، مرجع سابق، ص:11.

3– محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، د.ط، د.ت،دار الفكر العربي، القاهرة، جمهروية مصر العربية، الكتاب1، ص:288.

الملقب بالداخل وابنه هشام الملقب بالرضا، فأصبح مذهب الأوزاعي في عهدهما المذهب الرسمي للأندلس"[1]. ويعتبر أول ما دخل إلى الأندلس من المذاهب الفقهية مذهب الأوزاعي وقد غلب عليها[2]، ولقد كَانَ ظاهرًا بالأندلس إِلَى حدود العشرين ومائتين، ثم أدخل المذهب المالكي الأمويون بالأندلس، وتناقص مذهب الأوزاعي واشتهر مذهب مالك بيحيى بن يحيى الليثي[3]وزال مذهب الأوزاعي حول المائتين[4]، ولم يبقى له أثر بعد ذلك.

2- المذهب الحنفي: "وقد انتشر المذهب الحنفي بقوة السلطان في بلاد المشرق بواسطة أبي يوسف[5] وبإيثار الخلفاء العباسيين له في القضاء على غيره، وانتشر كثيرا ببلاد المغرب إلى قريب سنة (400) حتى غلب على جزيرة صقلية (سيسليا)"[6]، وأصبح "أكثر أهلها حنفيّون"[7]، ويقول المقدسي أيضا "قرأت في كتاب صنّفه بعض مشايخ الكرّاميّة بنيسابور أن بالمغرب سبعمائة خانقاه لهم فقلت لا والله ولا واحدة وأما القراءات في جميع الإقليم فقراءة نافع حسب

1 – صفي الدين محي الدين، دخول المذهب المالكي إلى الأندلس وعوامل انتشاره فيها– دورية كان التاريخية– العدد الثالث عشر؛ http://www.kanhistorique.org/Archive/2011/Issue13/Maliki، ت.النشر:سبتمبر 2011، ت التصفح:2018/02/10، س:22:15، ص:(91 – 95). بتصرف

2 – أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي، تق: محمد أبو زهرة، ط1، 1411هـ/1990م، دار القادري، بيروت، لبنان، ص:42. بتصرف

3 – شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: عمر عبد السلام التدمري، ط2، 1413 هـ/1993م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج10، ص:498. بتصرف

4 – أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية، مرجع سابق، ص:42.

5 – فهو يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، ولد سنة 113هـ، وتوفي سنة 193هـ. وكان يشتغل أولا برواية الحديث، ثم اتصل بأبي حنيفة، فكان أكبر أصحابه وأفضل معين له. وله كتاب الخراج في نظام الأموال والضرائب، وقد طبع أكثر من مرة. وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة؛ لأنه كان قاضي القضاة في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد. فكان لا يولي قاضيا إلا كان على مذهب أبي حنيفة(يُنظر: شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط3، 1405هـ/1985م، مؤسسة الرسالة، ج9، ص:535 وما بعدها).

6 – عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، ط المدني، 1365هـ/1946م، دار الفكر العربي، القاهرة، ص:256. بتصرف

7 – المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، 1411هـ/1991م، دار صادر، بيروت، لبنان، ج2،ص:238.

الرسوم "[1] ، وبقيت هذه القراءة سائدة إلى يوم الناس هذا.

وأما أفريقية (أي تونس) وما وراءها (أي الجزائر والمغرب والأندلس) فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين[2]عند قدوم عبد الله بن فروح أبو محمد الفاسي بمذهب أبي حنيفة[3]، إلى أن دخل علي بن زياد وأبن أشرس والبهلول بن راشد، وغيرهم بمذهب مالك[4]، ثم غلب عليها لما ولي قضاءها أسد بن الفرات بن سنان، ثم بقي غالبًا عليها حتى حمل المعز بن باديس أهلها على مذهب مالك وهو الغالب على أهلها إلا قليلاً منهم يقلدون المذهب الحنفي.

وفي الديباج لابن فرحون: "أن المذهب الحنفي ظهر ظهورًا كثيرًا بإفريقية إلى قريب من سنة 400 هـ، فانقطع منها ودخل منه شيء ما وراءها من المغرب قديما جزيرة الأندلس ومدينة فاس"[5]، وذكر المقدسي في أحسن التقاسيم أنه سأل بعض أهل المغرب:"كيف وقع مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ إليكم ولم يكن على سابلتكم؟ قالوا :لما قدم وهب بن وهب من عند مالك رَحِمَهُ اللهُ، وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز، استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه، فرحل إلى المدينة ليدرس على مالك، فوجده عليلاً، وقال له :إرجع إلى ابن وهب فقد أَوْدَعْتُهُ عِلْمِي، وَكَفَيْتُكُمْ بِهِ الرِّحْلَةَ"[6]، فصعب وتعذر ذلك على أسد وبدأ بالبحث عن بديل يكون علمه بحجم علم مالك، وسأل: "هل يُعْرَفُ لِمَالِكٍ نَظِيرٌ؟ فقالوا :فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة، قالوا :فرحل إليه، فزقه الفقه زَقًّا، فلما علم أنه قد استقل وبلغ مراده فيه، سَيَّبَهُ إلى المغرب، فلما دخلها اختلف إليه الفتيان، ورأوا فروعًا حيرتهم، ومسائل

---

1 – المرجع نفسه،ص:238.

2 – القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ت: ابن تاويت الطنجي، ط1، 1965م، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ج1، ص:25.

3 – أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية، مرجع سابق، ص:53. بتصرف

4 – القاضي عياض، ترتيب المدارك، مرجع سابق، ص:25.

5 – ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، ت: محمد الأحمدي أبو النور، د.ط، د.ت، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، مصر، ج2، ص:61 و62.

6 – المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، مرجع سابق، ص:237. بتصرف

ما طنت على أذن ابن وهب، وخرج به خلق، وفشا مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ اللهُ بالمغرب"[1] دون الأندلس فسئلهم المقدسي عن سبب ذلك فقال:"فلم لم يَفْشُ بالأندلس؟، قالوا :لم يكن بالأندلس أقل منه ها هنا، ولكن تناظر الفريقان يومًا بين يدي السلطان فقال لهما :من أين كان أبو حنيفة؟، قالوا :من الكوفة، فقال: ومالك؟، قالوا: من المدينة، قال: عالم دار الهجرة يكفينا. وأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة وقال: لا أحب أن يكون في عملي مذهبان"[2].

كما "كان بالقيروان المذهب الغالب إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة"[3].

3- المذهب المالكي: "ففي أفريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها في القديم مذهب الكوفيين إلى أن دخل علي بن زياد وأبن أشرس والبهلول بن راشد، وبعدهم أسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك، فأخذ به كثير من الناس ولم يزل يفشو إلى أن جاء سحنون فغلب في أيامه وفض حلق المخالفين، واستقر المذهب بعده في أصحابه فشاع في تلك الأقطار إلى وقتنا هذا"[4]، أما القيروان فكانت في القديم على مذهب المدينة والكوفة، رغم ما جرى على المالكية من محن، إلا أن "الغالب عليها إذ ذاك مذهب المدينة والكوفة، وبعدها تزعم مذهب المدينة أهلها وسائر بلاد المغرب مطبقة له مجمعة عليه لا يُعرف لغيره قائم إلى يومنا هذا"[5].

"وأما أهل الأندلس فكان رأيهم مذ فُتحت على رأي الأوزاعي إلى أن رحل إلى مالك زياد بن عبد الرحمن وقرعوس بن العباس ومن بعدهم، فجاءوا بعلمه، فعرف حقه ودُرس مذهبه إلى أن أخذ أمير الأندلس إذ ذاك هشام بن عبد الرحمن بن معاوية الناس جميعاً بالتزام مذهب مالك وصيّر القضاء والفتيا عليه، وذلك في عشرة السبعين ومائة من الهجرة في حياة مالك رحمه الله تعالى"[6]، رغم وجود مذهب الأوزاعي"وشيخ المفتيين حينئذ صعصعة بن سلام إمام الأوزاعية وروايتهم، وقد لحق به من أصحاب مالك عدة، فالتزم الناس بها من يومئذ هذا المذهب وحموه

1 - المرجع نفسه، ص:237. بتصرف

2 - المرجع نفسه، ص:237.

3 - القاضي عياض، ترتيب المدارك، مرجع سابق، ص:26.

4 - المرجع نفسه، ص:25 و26.

5 - يُنظر: المرجع نفسه، ص:26.

6 - المرجع نفسه، ص:26 و27. بتصرف

بالسيف عن غيره جملة، وعلى ذلك مضى أمر الأندلس إلى وقتنا هذا"[1]، ومن بين "أهم مصادر المذهب المالكى :الموطَّأ للإمام مالك، والمدونة الكبرى لسحنون، بالإضافة إلى تصحيحات وإجابات أرسلها ابن القاسم العتاقى تلميذ مالك إلى سحنون طبقًا لآراء مالك وآراء شيوخه ومعاصريه، ومازال المذهب المالكى معمولاً به فى كثير من الدول الإسلامية، وخاصة بلاد الشمال الإفريقى"[2] والأندلس وهذا راجع "لأن علماءهم كانوا يرحلون إلى الحجاز، وإمامه يومئذ مالك بن أنس، فيأخذون عنه ثم يعودون وقد امتلأت حقائبهم من مذهبه، ثم تعلق به أمراء المغرب في سياستهم، فكان ذلك من أسباب استمرارهم على تقليده، مثلما انتشر مذهب الحنفية في بعض الممالك بكثرة ما انحاز إليها من فقهائه، واستدام فيها حيث ربطت به الدولة سياستها"[3]، وأيضا كما قال "ابن حزم كلمته المشهورة :مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: الحنفي بالمشرق والمالكي بالمغرب"[4].

4- المذهب الظاهري: إن هذا المذهب "طالت مدته، وزاحم المذاهب الأربعة المشهورة، بل جعله المقدسي في أحسن التقاسيم رابع المذاهب في زمنه أي في القرن الرابع بَدَلَ الحنبلي وذكر الحنبلية في أصحاب الحديث، وَعَدَّهُ ابن فَرْحُونْ في الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها في زمنه أي في القرن الثامن ثم دَرَسَ بَعْدَ ذَلِكَ وَلَمْ يَبْقَ إلا المذاهب الأربعة"[5]، غير أن شيوع هذا المذهب بدأ بعد قيام دولة الموحدين على يد ابن تومرت وشنه "حربا شعواء على علماء وفقهاء المذهب المالكي محاولا صرف أذهان الناس عن المؤلفات المالكية، ثم جاء عبد المؤمن من بعده وأمر بحرق كتب الفروع، والاقتصار على الأحاديث النبوية، فلما تولى المنصور الموحدي عمد

---

1 - المرجع نفسه، ص:27. بتصرف

2 - مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، ملحق المذاهب والفرق والأديان، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/32136/3254، ت التصفح:2018/03/02، س:00:20، ج15، ص:4.بتصرف

3 - علي الرضا الحسني، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، ط1، 1431هـ/2010م، دار النوادر، سوريا، ج5، ص:93.

4 - يُنظر: ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ت: إحسان عباس، ط2، 1987م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج2، ص:229.

5 - أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية، مرجع سابق، ص:48.

إلى محو المذهب المالكي من البلاد، وجمع كتب المذهب المالكي وحرقها، وأمرهم بالرجوع إلى الكتاب والسنة والأخذ بظاهرهما، لكراهيته من الخلافات التى امتلأت بها كتب الفروع"[1]عند المالكية، "وقد حمل الناس على اعتناق المذهب الظاهري، لما يشكوه من تعدد الآراء والأحكام المذهبية فى المسألة الواحدة، ويرى أن الأخذ بالمذهب الظاهرى يحسم كثيراً من هذه الخلافات، ونستطيع القول إن المذهب الظاهري، غدا هو المذهب الرسمي فى عهد المنصور، وعظم أمر الظاهرية وانتشروا بالمغرب، وكانوا يسمون بالحزمية نسبة إلى الفيلسوف ابن حزم عميد المذهب"[2]، غير أنه لم يُكتب البقاء لهذا المذهب بعد سقوط الدولة الموحدية، ويقول ابن فرحون (ت799هـ) في الديباج :(وأما داود فكثر أتباعه وانتشر ببلاد بغداد وبلاد فارس مذهبه وقال به قوم قليل بأفريقية والأندلس وضعف الآن)[3] أي في القرن الثامن للهجرة.

5- المَذْهَبُ الشَّافِعِيُّ: لم يكن هناك أتباع كثر لهذا المذهب في المغرب والأندلس، "أما المغرب فلم يكن حظه منه كبيرًا لغلبة المالكي على بلاده، حتى زعم المقدسي في أحسن التقاسيم أنهم كانوا بسائر المغرب على عهده إلى حدود مصر لا يعرفونه، وأنه ذَاكَرَ بَعْضَهُمْ مَرَّةً في مسألة، فذكر قول الشافعي، فقالوا :من الشافعي؟ إنما كان أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب، قال :ورأيت أصحاب مالك يبغضون الشافعي ويقولون أخذ العلم عن مالك ثم خالفه"[4]، أما في حديثه عن القيروان فقال: "ليس في أهلها غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة، لا شغب بينهم ولا عصبية.

وقال عن الأندلس :ليس بها إلا مذهب مالك، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه"[5].

وفي الكامل لابن الأثير أنه قال: (فِي هذه السَّنَةَ (أي سنة 595هـ) أن يَعْقُوبُ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، صَاحِبُ الْمَغْرِبِ وَالْأَنْدَلُسِ كَانَ يَتَظَاهَرُ بِمَذْهَبِ الظَّاهِرِيَّةِ، وَأَعْرَضَ عَنْ مَذْهَبِ

1 - يُنظر: حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (المغرب الإسلامي): https://al-maktaba.org/book/32136/714، ت التصفح:2018/03/12، س:22:42، ج6، ص:85.

2 - يُنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، 1417هـ/1997م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج5، ص:240.

3 - ابن فرحون، الديباج المذهب، مرجع سابق، ص:62.

4 - أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية، مرجع سابق، ص:79.

5 - المرجع نفسه، ص:79 و80.

مَالِكٍ، فَعَظُمَ أَمْرُ الظَّاهِرِيَّةِ، ثُمَّ فِي آخِرِ أَيَّامِهِ اسْتَقْضَى الشَّافِعِيَّةُ عَلَى بَعْضِ الْبِلَادِ وَمَالَ إِلَيْهِمْ)[1]، وهذا ما يبين أنه أصبح شافعي المذهب في آخر آيامه.

6- المذهب الحنبلي: لم يكن لهذا المذهب أتباع ببلاد المغرب والأندلس إلا "بعض الحنابلة من الغرباء الذين دخلوا إلى الأندلس بآخره، ولعل السبب أن الامام أحمد لم يشتهر عند الأندلسيين اشتهار الامام أبي حنيفة، فحتى في الموسوعات الفقهية الأندلسية كالتمهيد لابن عبد البر والمحلى لابن حزم لا نكاد نجد له ذكراً إلا لماماً، وقد يكون السبب أيضا ما شاع من أن ابن حنبل كان محدثا ولم يكن فقيها"[2].

ومن بين هؤلاء الغرباء الذين أدخلوا المذهب الحنبلي إلى بلاد الأندلس، وسمع منهم بعض أهلها نذكر منهم: "سالم بن علي بن ثابت بن أبي يزيد الغساني اليماني، قدم الأندلس مع ابنه تاجراً سنة 416هـ، وكان حنبلي المذهب، ذا رواية واسعة عن شيوخ بلده وغيرهم، حدث عنه من أهل الأندلس أبو محمد بن خزرج وقال :أخبرنا أن مولده سنة 341هـ وأنه ابتدأ بالسماع مع العلماء سنة360هـ"[3]،كما نذكر أيضا: "عبد الله بن الحسن بن عبد الرحمن بن شجاع المرْوزي، كان فاضلا دينا، حنبلي المذهب، كان عالماً بالعربية على مذهب الكوفيين، وله تأليف في النحو على مذهبهم سماه (الابتداء)، سمع منه من الأندلسيين أبو محمد بن خزرج وأجاز له في صفر سنة 424هـ، وأخبره أن مولده سنة 348هـ"[4]، وهناك فقهاء آخرون حنابلة أدخلوا مذهبهم إلى المغرب والأندلس لا يسعنا ذكرهم جميعا.

1 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، ط1، 1417هـ،/1997م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج10، ص:161 و162.

2 - توفيق بن أحمد الغليزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس (نشأتها-أعلامها-أصولها-وأثرها)، تصدير: إبراهيم بن الصديق الغماري، تقديم: محمد بن الأمين بوخبزة التطواني الحسني وحسن بن عبد الكريم الوراكلي، ط1، 1427هـ/2006م، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص:185 و186.بتصرف

3 - المرجع نفسه، ص:186. بتصرف

4 - المرجع نفسه، ص:186. بتصرف

المطلب الثالث: نشأة دولة المرابطين والموحدين

أولا- دولة المرابطين:

1- نشأة دولة المرابطين:

"تكونت دولة المرابطين في الطرف الغربي الجنوبي من إفريقيا الغربية سنة 429هـ، وهي بداية التاريخ الكرونولوجي المؤسس لجيل المرابطين إلى غاية تأسيس عاصمة جديدة مراكش سنة 462هـ حيث بدأت مرحلة ثانية من التوسع نحو الشمال للقضاء على دويلات الطوائف ووصلت في نهاية 484هـ إلى توحيد المنطقة الواقعة ما بين بجاية شرقا إلى ساحل المحيط غرباً ومن شمال جبال البرانس شمالاً إلى جنوب غرب تمبوكتو وكومبي صالح جنوباً وقد بلغت أقصى اتساعها في الجنوب الشرقي إلى شمال غرب تشاد قريبا من الحدود الليبية الحالية"[1]، مع العلم أن الدعوة المرابطية دعوة قائمة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قام بها عبد الله بن ياسين على مرحلتين:

- "**فترة التكوين المذهبي والعسكري في مؤسسة الرباط**: ما بين سبعة إلى اثني عشر سنة، حيث كونت ما يزيد عن ثلاثة آلاف مرابط تكويناً مذهبياً وعسكريا.

- **مرحلة تطبيق تعاليمه**: بدأت بخروج الملثمين من عزلتهم في أقصى الجنوب الغربي من موريطانيا الحالية، حيث وحدوا قبائل غمارة ونكور وطنجة والمغرب الأقصى بعد القضاء على الشيعة البلجية وعلى دولة برغواطة في تامسنا وإنهاء ممالك طوائف المغرب الأقصى، وبعدها سيطرت على تلمسان ووهران وجزائر الثعالبة وحدود بجاية، وبعدها إفتتحوا الأندلس بعد معركة الزلاقة سنة 479هـ"[2].

2- أهم مظاهر التطور الحضاري في دولة المرابطين:

أ- الحياة السياسية: لقد نهضت دولة المرابطين في بداية أمرها على "أساس الإصلاح الديني الذي زرع بذوره الفقيه عبد الله بن ياسين في قبائل صنهاجة ولمتونة يعلمهم ويفقههم في دينهم،

---

1 - محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، ط1، 1428هـ/2007م، دار الخلدونية، الجزائر، ص:9.بتصرف

2 - المرجع نفسه، ص:9 و10.بتصرف

وما لبث أن تحول دوره التعليمي إلى الجهاد بالسيف كان الهدف منه إقامة سلطة تستطيع تنفيذ هذا الإصلاح، إلى أن جاء يوسف بن تاشفين الذي حقق آماله بتأسيس دولة المرابطين القائمة على الصبغة الدينية، التي تظهر في أمرين: **أولها** النزعة الجهادية التي كانت قوام سياستهم والمتمثلة في مجاهدة النصارى في الأندلس، **وثانيها** مكانة الفقهاء في الدولة التي كان لها تأثير على سائر ملوك المرابطين"[1]، وأما نظام الحكم فقد تميز في بداية أمره بإختيار الزعيم على أساس البيعة، "فقد بايع عبد الله بن ياسين يحي بن عمر بالإمارة لتحمسه للدعوة وصدق جهاده، ثم لما انتقل إلى الرفيق الأعلى خلفه أبو بكر بن عمر وهو من نفس البيت والقبيلة، ولما تولى يوسف بن تاشفين الحكم بدأت مرحلة جديدة حيث جعل إمارة دولة المرابطين حكراً على أبنائه تنتقل بينهم عن طريق الوراثة، وبما أنها قائمة على تعاليم الإسلام فكانت تقام بيعة خاصة يبايع فيها أفراد الأسرة الحاكمة مع عدم مراعاة الابن الأكبر سناً"[2].

ب- الحياة الاجتماعية: لم يعد المجتمع المرابطي على عاداته وتقاليده البدوية المتصفة "بالشجاعة والشهامة والصبر على الظروف الصعبة، بل إمتزجت بالحضارة الأندلسية في عهد علي بن تاشفين من بناء للقصور والعمائر الفخمة مقلدين أهل الأندلس، كما تمتعت المرأة في هذا العصر بمكانة مرموقة وصلت إلى أخذها قسط وافر من السلطة والنفوذ واقتناء الثروة وحتى طلب العلم وحفظ الشعر، وتركت أعمال البيت للعبيد، وأما بالنسبة لوضع العلماء في عهد علي بن يوسف فقد تمتعوا بمكانة مرموقة، فقد كان لا يصدر أي حكم إلا عن طريق فتوى شرعية من الفقهاء"[3].

وقد "شكل البربر الغالبية العظمى من سكان (بلاد المغرب) الذين تأسست على أيديهم دولة المرابطين، وقد شاركهم العرب فى الإقامة بالمنطقة منذ بدأت فتوح المسلمين لهذه

---

1 - يُنظر: عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، ط1، 1403هـ/1983م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص:(42-40).

2 - يُنظر: سلامة محمد سليمان الهدفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية، د.ط، 1405هـ/1985م، دار الندوة الجديدة، ص: 249 وما بعدها.

3 - المرجع نفسه، ص: (298-295).بتصرف

البلاد، ثم جاءت القبائل العربية الهلالية بعد ذلك إليها، وشاركهم السودانيون الذين انضموا إلى جيوش المرابطين، فضلاً عن تواجد عنصر الروم والصقالبة الذين عاشوا فى ظل المرابطين، واتخذ منهم بعض الأمراء حرسه الخاص، كما استخدمهم بعض الأمراء في جباية الأموال"[1]، كما شكل أهل الذمة من اليهود والنصارى وغيرهم جزءً من مجتمع دولة المرابطين "إلى جانب غيرهم من طبقات المجتمع وفئاته في ظل حماية القيادة العليا للبلاد، وأصبحت طائفة اليهود على قدر كبير من الثراء، ولكن بعضهم عمدوا إلى مساعدة أعداء البلاد وتحريضهم على غزوها، فكان رد فعل أمراء المرابطين هو نفى عدد كبير من هؤلاء، ومنْعهم من المبيت بالعاصمة (مراكش)، والسماح لهم بالعمل نهارًا، والانصراف منها ليلاً؛ وهو إجراء وقائي للحفاظ على العاصمة من المؤامرات والدسائس والفتن، وبها ما بها من تجمعات الجند وقادة الجيوش وإدارة البلاد، فضلا عن كونها مقر أمير البلاد وأسرته وأعوانه وحاشيته"[2]، وما تحمله من عتاد ومؤونة للدولة.

ج- الحياة العسكرية: لقد قامت على الجهاد في سبيل الله المتقوي بالإيمان بالله تعالى سواء كانوا قادة أو جنودا، غير أن القادة تميزوا "بصفات أهلتهم لقيادة الجيوش كأبي بكر بن عمر وغيره من القادة الذين تميزوا بإكثارهم من طاعة الله وإعداد النفس لتحمل المشاق ضاربين بذلك القدوة الحسنة لجنودهم، وحرصهم على تزكية وتطهير جنودهم والإرتقاء بهم في طاعة الله، كما تميزوا بخبرتهم في أمور الحرب والقوة فيها وإسناد الأمور إلى أهلها، وربوا الجندي على التسليم المطلق لله لا للشخص القائد، مع حرصهم على تحقيق الأهداف والضبط الإداري وقوة التأثير والتي ظهرت في شخصية يوسف بن تاشفين"[3]، بينما تكون الجيش من أربعة عناصر تمثلوا في، "**الملثمين أو المرابطين**: وهم النواة الأولى التي تكون منها الجيش المرابطي، **العرب**: وهم من أهم فرق الجيش المرابطي بعضهم من عرب الأندلس وآخر من قبائل بني هلال، **الحرس الخاص**: ويتألف من أشجع الجند من مختلف الولايات تميزوا بالشجاعة والقوة والبراعة، **الحشم**:

---

1 – حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة، مرجع سابق، ج6، ص:72 و73.

2 – المرجع نفسه، ج6، ص:72 و73.

3 – يُنظر: علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، ط3، 1430هـ/2009م، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص:186 وما بعدها.

وتتكون من الزناتة والمصامدة وكانت تتقدم هذه الفرقة عادة الجيوش المرابطية في القتال"[1]ضد الأعداء.

د- الحياة الاقتصادية: "حرص المرابطون في دولتهم على اسقاط الضرائب غير المشروعة عن كاهل شعوبهم التي فرضها الزناتيون في المغرب وملوك الطوائف في الأندلس، وكذلك المكوس والرسوم والضرائب في جبل طارق، ولم يفرضوا في دولتهم رسم مكس أو معونة خراج لا في حاضرة ولا في بادية، واتبعوا نظاما ماليا يقوم على قواعد الاسلام معتمدين على الزكاة والعشر والجزية وأخماس الغنام"[2]، وأما عند مجيء "علي ابن يوسف فرضت الضرائب على بعض السلع وفرض ضريبة جديدة على مدن الأندلس الهامة، وكان يخصص دخلها لإقامة أسوار جديدة وترميم الأسوار القديمة بسبب دخول ألفونسوا المحارب للأندلس غازيا عام 519هـ، وأما العملة الرئيسية للدولة فهي الدينار الذهبي الذي كان عماد الاقتصاد فيها، كما استخدموا العملة الفضية المعروفة بالدرهم الفضي لتسهيل المعاملات التجارية"[3].

ثانيا- دولة الموحدين:

1- نشأة دولة الموحدين: "تأسست الدولة الموحدية على يد محمد بن عبد الله المعروف باسم ابن تومرت الهرغي السوسي الملقب بالمهدي بين أحضان قبائل مصمودة بالمغرب الأقصى، وكان ذلك في القرن السادس الهجري، مركزا على الدعوة إلى التوحيد الخالص، والاعتراض على سياسة الدولة المرابطية في بعض الأمور التي رآها مخالفة للشرع، فأعلن ثورة عنيفة غيّرت التاريخ في المغرب الإسلامي والأندلس، داعيا إلى الأصول الجامعة وترك الفروع المفرّقة للآراء"[4]، هدفه من ذلك "إنشاء دولة إسلامية قوية لصد المد الصليبي المهدد لوجود المسلمين، فأخذ بعد

1 - يُنظر: المرجع نفسه، ص:186 وما بعدها.

2 - المرجع نفسه، ص:203 و204.بتصرف

3 - المرجع نفسه، ص:203 و204.بتصرف

4 - عبد الرحمان عبان، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين دراسة في موضوعاته وبنيته (إبن معطي نموذجا)، (مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في الأدب العربي، المشرف: العيد جلولي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر)، 1427-1428هـ/2007-2008م، ص:9.بتصرف

عودته إلى المغرب في تأسيس حكومته على طريقة شيخ القبيلة المتزعّم، وأفاض عليها صبغة المهدوية، كما نادى بطاعة الإمام وعصمته على طريقة الإمامية في ميدان السياسة والاجتماع، واستخدم التأويل العقلي على طريقة الأشاعرة والمعتزلة، وهاجم طريقة الفقهاء المغاربة ووصفهم بالتجسيم لأخذهم النصوص على ظاهرها دون تأويل"[1]، كما دعاهم إلى "ربط الفروع الفقهية بأصولها، متهما خصوم المرابطين بترك الكتاب والسنة، والاعتماد على الرأي الذي لا سند له من الشرع، اجتهد ابن تومرت في القضاء على دولة المرابطين بالمغرب الأقصى إلى أن تغلب عليهم، فبايعته الأمة المغربية بالإمارة سنة 516 هـ حتى وفاته سنة 524 هـ"[2]، ثم جاء من بعده "عبد المؤمن بن علي وبايعه الناس، وتمكن من إحكام قبضته على المغرب الأقصى سنة 541هـ معلنا شروق دولة الموحدين، مع ضمه للأندلس إليها، وتوحيد المغرب الإسلامي سياسيا ومذهبيا، وأصبح ذو عقيدة واحدة هي الأشعرية، ومذهب فقهي واحد وهو المذهب المالكي، ما عدا جماعة الإباضية التي بقيت متمسكة بآرائها الفقهية والعقائدية والتي هي ليست بعيدة عن عقيدة أهل السنة"[3].

2- أهم مظاهر التطور الحضاري في دولة الموحدين:

أ- الحياة السياسية: لقد رفض الموحدون الاعتراف بالخلافة العباسية، وقامت دولتهم في بداية أمرها على دور المهدية، "بعد إعلان ابن تومرت مهديته أصبح يلقب (الإمام المعصوم والمهدي المعلوم)، غير أنه لم يجعل إمامته فوق النبوة أو في مرتبتها، لأن رسالته هي تبليغ أمر الله الذي جاء به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ولما كان معصوما من الباطل والضلال والفساد والبدع والكذب والجهل فقد وجبت طاعته في كل أمر، وبالتالي فالحكم الموحدي لا يختاره البشر وإنما يفوضه الله، وسلطته مطلقة لا يحدها إلا الكتاب والسنة، وبعد وفاة المهدي خلفه عبد المؤمن ومعه بدأت الخلافة"[4] بالدولة الموحدية.

---

1 - المرجع نفسه، ص:10.بتصرف

2 - المرجع نفسه، ص:10 و11.بتصرف

3 - المرجع نفسه، ص:11.بتصرف

4 - عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، د.ط، د.ت، دار الغرب الإسلامي، ص:(113-111).بتصرف

ب- الحياة الاجتماعية: "شكلت قبائل المصامدة العنصر الرئيسي لسكان دولة الموحدين، وقد استقرت بالمنطقة منذ زمن، أما العنصر الثاني من سكانها فهم العرب الهلالية الذين ظهروا على مسرح الأحداث، وعمد الموحدون إلى تهجيرهم من إفريقية إلى المغرب الأقصى ليتخلصوا من ثوراتهم، وأقطعهم ولاة الأمر بعض الأراضي، وأنفقوا عليهم النفقات الكبيرة، وأغدقوا عليهم بالعطايا حتى يوفروا لهم الاستقرار ويبعدوهم عن الفتن وإثارة القلاقل والاضطرابات"[1]، كما تمتع المرأة "بالتكريم والإنصاف والاحترام في دولة الموحدين، وأتاحت لها الظروف أن تنال حظا من العلوم المختلفة، وقسطًا من ثقافة العصر وأدبه، وبرزت الكثيرات من النساء مثل: زينب بنت الخليفة يوسف بن عبد المؤمن، والشاعرة العالمة حفصة بنت الحاج الركونية، وفاطمة بنت عبد الرحمن، وعاش أهل الذمة في أنحاء متفرقة من البلاد، وكانت لهم أحياؤهم بالعاصمة مراكش وبمدينة سجلماسة، وكانوا يشتغلون بالبناء"[2].

ج- الحياة العسكرية: "ليس ثمة شك في أن القوة العسكرية، كانت منذ البداية عماد الدولة الموحدية الأول، وقد بلغت التنظيمات العسكرية في ظل الدولة الموحدية، من حيث الضخامة مبلغاً لم تبلغه في أية دولة أخرى في الغرب الإسلامي، وقد كانت الحشود القبلية هي المصدر الرئيسي للجيوش الموحدية، وقد بدأت بصورة متواضعة، حينما أعلن المهدي ابن تومرت إمامته وبايعته القبائل الموحدية، وأخذ يتأهب لمحاربة المرابطين، وكان المهدي هو أول من وضع نظاما عسكريا لأنصاره الموحدين فرتبهم صفوفا، وجعل لكل عشرة منهم نقيباً"[3]، حتى يستطيع السيرة والتحكم في هذه الحشود القبلية لضرب المرابطين لأول مرة رغم أنها "قليلة الأهبة والعدة، ودون نظام عسكري محكم، فكانت الحماسة لديها تغني عن السلاح والنظام، وهكذا بدأ الجيش الموحدي في التجمع والانتظام، وفي عهد عبد المؤمن بن علي أول الخلفاء الموحدين، اتسع نطاق الجيوش الموحدية، وزادت حشودها زيادة هائلة، وذلك بعد أن دانت سائر قبائل المغرب

---

1 - حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة، مرجع سابق، ج6، ص:83 و84.

2 - المرجع نفسه، ج6، ص:84.

3 - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، 1417هـ/1997م، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج5، ص:632. بتصرف

للطاعة، وقد استطاع عبد المؤمن من أن يحشد لغزو إفريقية جيشاً جراراً تقدره الرواية بخمسة وسبعين ألف فارس وخمسمائة ألف راجل"[1]وهذا الرقم ضخم جداً في تلك الفترة.

د– الحياة الاقتصادية: "لقد نعمت البلاد بالرخاء الاقتصادي، إذ وضعوا نظامًا مالياً دقيقًا، تمثل في الإدارة المشرفة على الجوانب المالية في الجباية والإنفاق، فضلا عن وجود دواوين للمال بالعاصمة، وديوان للمال بكل إقليم يختص بماليته، وأفرد الموحدون دارًا للإشراف علي النواحي المالية، كما استحدثوا منصب الوزير المسئول عن الشؤون المالية أطلقوا عليه اسم صاحب الأشغال، ومهمته استخراج الأموال وجمعها وضبطها، وتعقب نظر الولاة والعمال فيها، ثم تنفيذها على قدرها وفي مواقيتها، وكان يعاونه رؤساء الدواوين المالية بالدولة"[2]، فكانت من بين أهم مصادر خزينة الدولة "فوفرت هذه المصادر إلى جانب الزكاة وخمس الغنائم أموالا كثيرة لخزينة الدولة، أُنفق معظمها على إعداد الجيش في البر والبحر، ودفع مرتبات الوزراء ورجال البلاط والحشم والقضاة والفقهاء، وكذلك في الإنفاق على الطلبة المنتظمين بالمدرسة التي أنشأها الخليفة عبد المؤمن، كما أنفق منها على إنشاء المدن والقصور والحصون وغيرها من المنشآت"[3]، بينما العملة النقدية المتعامل بها عندهم "الدنانير والدراهم، وقد اهتم الموحدون بالزراعة وشجعوا المزارعين على استغلال الأرض، ووفروا لهم المياه اللازمة للزراعة، فتوافرت محاصيل القمح والشعير، وغير ذلك من المحاصيل، كما نعمت البلاد بأصناف الفواكه المتنوعة مثل :العنب والتفاح وغيرها، وانتشرت الغابات بالبلاد وتوافر بها شجر الأَرْز والزان والبلوط، ونشطت الحركة الصناعية، وتوافرت المراكز الصناعية بالبلاد، مثل: مدينة فاس ومراكش، وازدهرت التجارة في الداخل والخارج"[4]في شتى الأنواع والمجالات في تلك الفترة.

---

1 – المرجع نفسه، ص:632 و633.بتصرف

2 – حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة، مرجع سابق، ج6، ص:82.بتصرف

3 – المرجع نفسه، ج6، ص:82.

4 – المرجع نفسه، ج6، ص:82 و83.بتصرف

المطلب الرابع: المذاهب الفقهية في عصر المرابطين والموحدين

أولا- المذاهب الفقهية في عصر المرابطين: لقد تميز عصر المرابطين بانتشار وتزعم الفقه المالكي على غيره من المذاهب، لأن مؤسس الدولة المرابطية "عبد الله بن ياسين ذلك الفقيه المالكي المتقشف الذي أمضى شطرا من حياته في الدرس والتحصيل وقد دخل بلاد الأندلس في عهد ملوك الطوائف وأمضى بها سبعة أعوام حصل فيها على علوم كثيرة، وعاد إلى المغرب الأقصى وأقام عند الشيخ الفقيه واجاج"[1] بن زللو فقيه السوس، حيث "كانت جميع أقواله وأفعاله تجري على مقتضى قواعد الفقه المالكي، وقلده في ذلك المرابطون حكومة وشعبا، وقد كان له الفضل الكبير في نشر الإصلاح الديني والسياسي أيضا بين قبائل صنهاجة وجدالة ولمتونة ومسوفة، فعم المذهب المالكي سائر أرض المغرب، وبعدما التحق المرابطون بالأندلس، وجدوا هناك مذهب مالك منتشرا بها أيضا، وأصبحت الحكومة لا تقضي أمرا إلا على وفق هذا المذهب، وبذلك حاز فقهاء المالكية تقدما عظيما، وتمتعوا بمنزلة كبيرة ونفوذ واسع في ميادين التشريع، والشؤون السياسية والمجالات الفكرية"[2]، وفي ذلك يقول صاحب المعجب:"...ولم يزل الفقهاء على ذلك وأمور المسلمين راجعة إليهم، وأحكام كبيرها وصغيرها موقوفة عليهم... فعظم أمر الفقهاء، وانصرفت وجوه الناس إليهم فكثرت أموالهم واتسعت مكاسبهم، ولم يكن يحظى عند أمير المسلمين إلا من عَلِمَ عِلْمَ الفروع على مذهب مالك، فنفقت في ذلك الزمن كتب المذهب وعُمِل بمقتضاها ونُبِذَ ما سواها، وكثر ذلك حتى نُسِيَ النظرُ في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمن يعتني بهما كل الاعتناء"[3]، كما شكل الفقهاء طبقة خاصة في عصر المرابطين "فهم

---

1 – حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، ط1، 1425هـ/2004م، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات، ص:16.بتصرف

2 – نقلا عن: مسعود بن موسى فلوسي، مقال بعنوان: المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، الملتقى الوطني الأول (المذهب المالكي بالجزائر)، 3-2 ربيع الأول 1425هـ/21-22 أفريل 2004م، مجلة البحوث العلمية والدراسات الاسلامية بجامعة الجزائر، العدد1، ص:82 و83.بتصرف.

3 – عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ت: صلاح الدين الهواري، ط1، 1426هـ/2006م، المكتبة العصرية-صيدا، بيروت، لبنان، ص:130 و131.بتصرف.

الذين يفتون بشرعية توجهات الأمراء المرابطين، كما اكتسبوا الثروات بفضل تحالفهم مع النظام المرابطي، فقد أجرى عليهم يوسف بن تاشفين الأرزاق من بيت المال طول أيامه، كما أن ابنه علي كان شديد التقدير والتعظيم والإجلال للفقهاء فكان يقربهم ويقدمهم ويكرمهم، فمن البديهي أن هذه المكانة والثروة والجاه الذي احتموا به أعطاهم مكانة اجتماعية ونفوذا قل نظيره، حتى أن بعضهم صاروا يدخلون المدن دخولا رسميا يشبه دخول الأمراء"[1]،"وما يذكر لدولة المرابطين أنها كانت أول دولة تعطي المغرب وحدة مذهبية وثيقة عن طريق نشر المذهب المالكي فيه"[2]، "كما تبنى المرابطون في موريتانيا مذهب الإمام مالك لأنهم تلقوا العلم من مشايخ (القيروان) بسبب قربها الجغرافي، ونشروا مذهبه في إفريقيا الوسطى وإفريقيا الغربية"[3].

ثانيا– المذاهب الفقهية في عصر الموحدين: لقد "شن ابن تومرت حربًا شعواء على العلماء والفقهاء واتهمهم بالجمود، ولكنه لم يستطع مهاجمة المذهب المالكي الذي رسخ في أذهان عامة الشعب وقلوبهم، وتحايل على ذلك بإعداد مُؤَلَّف جمع فيه الأحاديث النبوية التي وردت بموطأ الإمام مالك، وحذف منها معظم الإسناد للاختصار، في محاولة لصرف أذهان الناس عن المؤلفات المالكية" المقتصرة على الفروع والتي تعتبر مضللة عنده، "ثم جاء عبد المؤمن من بعده وأمر بحرق كتب الفروع، والاقتصار على الأحاديث النبوية، فلما تولى المنصور الموحدي عمد إلى محو المذهب المالكي من البلاد، وجمع كتب المذهب المالكي وحرقها، وأمر بجمع الأحاديث المتعلقة بالعبادات من كتب الأحاديث مثل: البخاري ومسلم وغيرهما، وألزم الناس بدراستها وحفظها، وعاقب علماء المذهب المالكي المتمسكين بتدريسه، وعلل ذلك بميله إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة والأخذ بظاهرهما، وكراهيته للخلافات التي امتلأت بها كتب الفروع"، غير أن

1 – محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، ط1، 2009م، دار الوعي، الجزائر، ص:133 و134.بتصرف

2 – مسعود بن موسى فلوسي، مقال بعنوان: المذهب المالكي، مرجع سابق، ص:84.

3– نقلا عن: محمد رشيد، مقال بعنوان: ما هكذا يترجم للإمام مالك، أرشيف ملتقى أهل الحديث–1، ت المقال: 10جوان2004م، س:03:42، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/31621/15910، ت التصفح:2018/03/09، س:20:12، ج32، ص:408.

"علماء المالكية لم يؤثر فيهم التهديد والعقاب، وظلوا يكافحون في سبيل بقاء مذهبهم وتدريسه، فسُجن بعضهم مثل ابن سعيد الأنصاري، وتُوفي بعضهم نتيجة التعذيب مثل: أبي بكر الجياني المالكي، ومع ذلك نجح هؤلاء العلماء في إبقاء هذا المذهب وظل مذهب المالكية راسخًا ببلاد المغرب"[1]، وهذا ما جعل "ابن تومرت يتمسك بالمذهب المالكي منذ تأسيس الدولة الموحدية، رغم دراسته بالمشرق على يد عدد من أقطاب عصره، إلا أنه لبث على تقاليد علماء المغرب الراسخة من اتباع المذهب المالكي، وهو المذهب المفضل في المغرب والأندلس منذ أواخر القرن الثاني للهجرة، كما أنه ألف كتاب في المذهب المالكي سماه (موطأ الإمام المهدي) وهو كتاب ضخم يتناول فيه علم الفروع من الطهارة والصلاة والجنائز والصيام ...الخ، وحسبما جاء في مقدمته أن مصنفه ليس إلا إختصار لموطأ الإمام مالك"[2].

أما في "خلافة ابي يوسف يعقوب الموحدي انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء، وأمر بإحراق كتب المذهب بعد أن جرد ما فيها من حديث وقرآن فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدونة سحنون، وجامع ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد القيرواني ومختصره، وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها، وهي أجود ما أُلف في فقه المذهب"[3]، ويروي صاحب المعجب:"لقد شاهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار، وتقدم إلى الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة، وأمر جماعة ممن كان عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة...وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجده، إلا أنهما لم يظهراه، وأظهره يعقوب هذا"[4]علناً بأفعاله وإضطهاده لهم.

---

1 – حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة، مرجع سابق، ج6، ص:85.

2 – يُنظر: محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط2، 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج4، ص:216.

3 – عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، 1993م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية، ص:42.

4– عبد الواحد المراكشي، المعجب، مرجع سابق، ص:203 و204.بتصرف

وذكر "أن الموحدين أوقعوا المحن بذوي الفروع وقتلوهم وضربوهم بالسياط، وألزموهم الأيمان المغلظة، من عتق وطلاق وغيرهما على أن لا يتمسكوا بشيء من كتب الفقه"[1].

ونقل المراكشي في المعجب "عن الحافظ أبي بكر الجد عندما دخل على أمير المؤمنين أبي يعقوب أول دخلة، وأثناء حواره معه في المسألة وما فيها من أقوال، فقال قطع كلامي وقال لي: يا أبا بكر ليس إلا هذا، وأشار إلى المصحف، أو هذا، وأشار إلى كتاب سنن أبي داود وكان عن يمينه، أو السيف، فظهر في أيام يعقوب هذا ما خفي في أيام أبيه وجده"[2]، كما "كان المنصور أيضاً من أشد دعاة المذهب الظاهري، وهذا المذهب الذي اشتهر على يد الفيلسوف ابن حزم القرطبي فى أوائل القرن الخامس الهجرى، وقد حمل الخليفة المنصور الناس على اعتناق المذهب الظاهري، لأنه كان يشكو من تعدد الآراء والأحكام المذهبية فى المسألة الواحدة، ويرى أن الأخذ بالمذهب الظاهري يحسم كثيراً من هذه الخلافات، ونستطيع القول إن المذهب الظاهري، غدا هو المذهب الرسمي في عهد المنصور، وعظم أمر الظاهرية، وانتشروا بالمغرب، وكانوا يسمون بالحزمية نسبة إلى الفيلسوف ابن حزم عميد المذهب"[3]، وكان المنصور قاسيا على المالكية ومذهبهم لدرجة التعصب، وكأنه كان ينتقم منهم نصرة لمذهبه ولابن حزم الظاهري عندما أخرجوه من الأندلس، غير أنه تظاهر أن ما فعله بهم إنما هو لتوحيد الصف وإرجاع الأمة إلى الكتاب والسنة.

1 – محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، ط2، 1397هـ/1977م، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب، ص:53.

2 – يُنظر: عبد الواحد المراكشي، المعجب، مرجع سابق، ص:204.

3 – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، مرجع سابق، ج5، ص:239-241.بتصرف

المبحث

الثاني

المبحث الثاني: أثر المذهبية الفقهية في عصر المرابطين والموحدين ببلاد المغرب والأندلس بين القرن (5هـ/7هـ)

ففي هذا المبحث سنتحدث عن الآثار التي خلفتها المذهبية الفقهية ببلاد المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين سواءً كانت هذه الآثار إيجابية أو سلبية، وذلك كما يأتي:

المطلب الأول: توحيد الصف وجمع الكلمة

إن من بين الآثار الإيجابية للمذهبية على الدعوة إلى الله تعالى في الغرب الإسلامي وفي غيره من بقاع العالم الإسلامي، هو "جمع الكلمة والحفاظ على الوحدة الدينية عقيدة وشريعة وسلوكا، وهي إحدى الدعائم الأساسية في الشريعة الإسلامية بل روح هذه الشريعة وغايتها السامية انطلاقا من كلمة التوحيد التي تجمعهم على توحيد العبادة إلى آخر شعيرة من شعائر الإسلام التي تتضمن كل واحدة منها معنى من معاني الوحدة ومظهرا من مظاهر النظام والمساواة ووحدة الصف: يتجلى ذلك واضحا في الصلاة وفي الزكاة وفي الصوم والحج والجهاد ...الخ"[1]، كما يقول ابن رجب الحنبلي "كان الفقه الإسلامي من أكبر العوامل في بناء هذه الوحدة الإسلامية، وكان من أمتن الأسس فيها، وهذا ما أدركه أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم"[2]، وهو ما تجسد بالمغرب والأندلس في عهد المرابطين والموحدين، حيث حافظوا على بقاء الإسلام خاصة بالأندلس التي كانت تتعرض للهجمات الصليبية التي تستهدف إستئصال الإسلام من جذوره في تلك البلاد.

1 – محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، 1421هـ/2000م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص:27 و28.

2 – ابن رجب الحنبلي، الرد على من اتبع غير المذاهب، مرجع سابق، ص:11.

المطلب الثاني: ازدهار الحوار وعلم الجدل والمناظرة بين المالكية والظاهرية

"لم يكن الجدل والمناظرة رائجين بالمغرب والأندلس قبل ظهور المدرسة الظاهرية"[1]، بل ازدهر بظهور هذه المدرسة وترأس زعيمها ابن حزم الحوار والجدل والمناظرة مع كبار العلماء المالكية، ومن بينها مناظرته مع كبير من المالكيين حول قول ابن عباس في دية الأصابع:"ألا اعتبرتم ذلك بالأسنان عقلها سواء وإن اختلفت منافعها، فالمالكية يرونه من باب القياس وابن حزم يراه نصاً جلياً في إبطاله، وقال عن القياس...إنما هو رد ما لا نص فيه إلى ما فيه نص، وليس في الأصابع ولا في الأسنان إجماع بل الخلاف موجود في كليهما، وقد جاء عن عمر المفاضلة بين دية الأصابع ودية الأضراس، وجاء عنه وعن غيره التسوية بين كل ذلك، فبطل هاهنا رد المختلف فيه إلى المجمع عليه، والنص في الأصابع والأسنان سواء، ثم من المحال الممتنع أن يكون عند ابن عباس نص ثابت عن النبي (ص) في التسوية بينهما ثم يفتي بذلك قياساً"[2] وما هذه المناظرة إلا جزءً يسيراً من ذلك الصراع المذهبي بين ابن حزم والمالكية، وألف ابن حزم في هذا الجانب كتبا فقهية تكلم فيها عن ردوده تجاه المالكية وعجزهم عن الرد عليه بل إكتفوا بالصمت أحيانا وعدم وجود الإجابة أحيانا أخرى، وقال عنهم بأنهم "قد وقفوا عند حد المدونة والمستخرجة لا يتعدونهما إلى شيء، حتى لقد سئل عبد الله بن إبراهيم الأصيلي: كيف صفة الفقيه عندكم بالأندلس، فقال: يقرأ المدونة وربما المستخرجة فإذا حفظ أفتى، فقال له سائله وهو شرقي: أجمعت الأمة على أن من هذه صفته لا يحل له أن يفتي"[3]، ولقد افتقر المالكية في عصره إلى الأخذ بالدليل من الكتاب والسنة بل إكتفوا بقول صاحبهم كما يقول ابن حزم، "ولم تنجح المناظرات في رد ابن حزم عن الاتجاه الذي اختاره لنفسه، فحاول المالكية – حسب قوله – إثارة العامة ضده، فلما أخفقوا في هذا أيضاً لجأوا إلى السلطان وكتبوا الكتب الكاذبة "فخيب الله سعيهم وأبطل بغيهم فعادوا إلى المطالبة عند أمثالهم فكتبوا الكتب السخيفة إلى

1 – توفيق بن أحمد الغليزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب، مرجع سابق، ص:848.

2 – ابن حزم، رسائل ابن حزم، ت:إحسان عباس، ط1، 1981م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ج3، ص:21.

3 – المرجع نفسه، ص:21.

مثل ابن زياد بدانية وعبد الحق بصقلية فلم ينفعهم ذلك كله، فلجأوا إلى كتابة الرسائل إليه"[1]، فستجاب لهم السلطان وبقي الحال كذلك، إلى أن جاء أبو يوسف يعقوب المنصور الموحدي حيث "ألغى المناظرات العقيمة التي كانت موجودة في أواخر عهد المرابطين وأوائل عهد الموحدين، وزاد بشدة في عطايا العلماء، ومال إلى مذهب ابن حزم الظاهري، لكن لم يفرضه على الناس، بل إنه حرق الكثير من كتب الفروع، وأمر بالاعتماد على كتاب الله وكتب السنة الصحيحة"[2]، بالرغم من كل ما يؤخذ على ابن حزم وفكره إلا أنه لقن فقهاء المالكية في عصره درساً يعلمهم فيه بضرورة دراسة الأدلة والمصادر التي اقتبس منها كبار علماء المالكية فقههم وعدم الاكتفاء بكتب الفروع.

1 - المرجع نفسه، ص:22.

2 - راغب السرجاني، الأندلس من الفتح إلى السقوط، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/31725، ت التصفح:2018/03/01، س:23:12، ج11، ص:6.بتصرف

المطلب الثالث: التعصب المذهبي

التعصب المذهبي هو:(الدفاع عن المذهب والمحاماة عنه سواءً أكان على خطأ أم على صواب مع إعتقاد فساد غيره من المذاهب)[1]، والذي "ينشأ من من عدم إدراك الموضوع من كل جوانبه، إذ لا يفتح قلبه وفكره إلا على جانب واحد منه...وقليلا ما يكون سبب التعصب قوة الإيمان"[2]، ولقد تعددت أشكال هذا التعصب في هذه الفترة سواء بالأندلس أو المغرب، ومن بين هذه الأشكال ما يأتي:

1- التشنيع على المخالف والنفي والسجن والتهديد بالقتل: لقد وصل التعصب في الأندلس في عهد المرابطين إلى "حد التشنيع على المخالف والدفع في صدره والطعن في حجته ولو كان الحق في جانبه، بل قد يبلغ التعصب بأصحابه أحيانا إلى حد إذاية المخالف بأنواع الإذايات، وفي ذلك غمط الحق، وتوهين صف الأمة وزعزعة وحدتها الدينية والاجتماعية"[3]، كما كان النفي والتهديد بالقتل لكل من يطبق غير المذهب المالكي السائد في تلك الفترة، "فمذهب مالك وقراءة نافع وهم يقولون لا نعرف إلّا كتاب الله وموطّأ مالك فإن ظهروا على حنفيّ أو شافعيّ نفوه وإن عثروا على معتزليّ أو شيعيّ ونحوهما ربّما قتلوه، وبسائر المغرب الى مصر لا يعرفون مذهب الشافعيّ رحمه الله إنّما هو أبو حنيفة ومالك رحمهما الله"[4]، ويقول الإمام المقدسي "كنت يوما أذاكر بعضهم في مسألة فذكرت قول الشافعيّ رحمه الله فقال أسكت من هو الشافعيّ إنّما كانا بحرين أبو حنيفة لأهل المشرق ومالك لأهل المغرب أفنتركهما ونشتغل بالساقية، ورأيت أصحاب مالك رحمه الله يبغضون الشافعيّ قالوا أخذ العلم عن مالك ثم خالفه وما رأيت فريقين أحسن اتّفاقا واقلّ تعصّبا منهم وسمعتهم يحكون عن قدمائهم في

---

1 - خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمذهب دراسة نظرية نقدية، ط1، 1434هـ/2013م، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، مج1، ص:130.

2 - محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص:9.

3 - محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي، مرجع سابق، ص:28.

4 - المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم، مرجع سابق، ص:236.

ذلك حكايات عجيبة حتّى قالوا انه كان الحاكم سنة حنفيّ وسنة مالكيّ"[1]، كما تعرض البعض ممن خالف المذهب المالكي للنفي حيث قال المقدسي:"وقلت فلم لم يفش بالأندلس (أي المذهب الحنفي) قالوا لم يكن بالأندلس أقلّ منه هاهنا ولكن تناظر الفريقان يوما بين يدي السلطان فقال لهم من أين كان أبو حنيفة قالوا من الكوفة فقال مالك، قالوا من المدينة قال عالم دار الهجرة يكفينا فأمر بإخراج أصحاب أبي حنيفة وقال لا أحبّ أن يكون في عملي مذهبان وسمعت هذه الحكاية من عدّة من مشايخ الأندلس"[2]، كما تعرض البعض ممن بقيَّ على مذهبه من أهل المغرب والأندلس في العصر الموحدي إلى السجن "فسُجن بعضهم مثل ابن سعيد الأنصارى، وعُذب بعضهم أيضا مثل: أبى بكر الجيانى المالكى الذي تُوفى نتيجة التعذيب، ومع ذلك نجح هؤلاء العلماء فى إبقاء المذهب المالكي راسخًا ببلاد المغرب"[3].

2- الطعن في المسلمين ووصفهم بالمنافقين: لقد وصل التعصب ببعض العلماء في هذه الحقبة إلى وصف مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهلها ببلد المنافقين، ومن بينهم ابن حزم "فقد تجاوز إلى الثلب والطعن، وقال إنها بلد المنافقين الذين قال فيهم تعالى: ﴿**وَمِنَ اَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾(التوبة101)، نعم وجد منافقون بالمدينة، لكن أهل المدينة لم يقلدوهم ولم يروا رأيهم ,وأن عمل أهل المدينة مستمد من السنة لا من عمل المنافقين"[4]، ولكن حدة تعصبه وكرهه للمذهب المالكي جعله يقول هذا.

3- منع تطبيق المذاهب الأخرى والقضاء بها: ويعتبر سبب تطبيق المذهب المالكي والقضاء به على غيره من المذاهب الفقهية الأخرى في هذه الفترة، هو السلطان كما قال ابن حزم في نفح الطيب: "مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبي حنيفة، فإنه لما

1 - المرجع نفسه، ص:236 و237.

2 - المرجع نفسه، ص:237.

3 - حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة، مرجع سابق،ج6، ص:85.بتصرف

4 - أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، ط1، 1411هـ/1990م، دار قتيبة، بيروت، لبنان، ص:23 و24.بتصرف

ولي القضاء أبو يوسف كانت القُضاة من قبله من أقصى المشرق إلى أقصى عمل إفريقية، فكان لا يولّي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه، ومذهب مالك عندنا بالأندلس، فإن يحيى بن يحيى كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة، وكان لا يلي قاضٍ في أقطار بلاد الأندلس إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومَنْ كان على مذهبه، والناس سراع إلى الدنيا، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم"[1]، وسبب تَبَنّي حاكم الأندلس لمذهب مالك، قيل أن "مالكاً سأل بعض الأندلسيين عن سيرة ملك الأندلس، فوصف له سيرته، فأعجبت مالكاً، فقال مالك للأندلسيين: نسأل الله تعالى أن يُزيّنَ حَرَمَنا بملِكِكُم، بلغ هذا ملك الأندلس، مع ما علم من جلالة مالك ودينه، فحمل الناس على مذهبه وترك مذهب الإمام الأوزاعي"[2]، كما "حمل المعز بن باديس الصنهاجي جميع أهل المغرب على التمسك بمذهب الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه، وحسم مادة الخلاف في المذاهب. واستمر الحال في ذلك إلى الآن. وكذلك تبنى المرابطون في موريتانيا مذهب الإمام مالك لأنهم تلقوا العلم من مشايخ (القيروان) بسبب قربها الجغرافي، ونشروا مذهبه في إفريقيا الوسطى وإفريقيا الغربية"[3].

كما تم تضييق فقهاء المالكية على أتباع مذهب الشافعي بالأندلس، فإنهم كانوا لا يحتملون ظهور مذهب غير مذهب مالك، مذهب أهل البلد، كما أن "فقهاء المدرسة الشافعية بالأندلس تحرجوا من مخالفة ما عليه الناس في الفتوى والعمل، فإمام الشافعية بالأندلس نفسه قاسم بن محمد بن سياركان يفتي بمذهب مالك رغم شافعيته، وكان يتحفظ كثيرا من مخالفة المالكية كما يقول القاضي عياض، وكان أحمد بن بشر التجيبي القرطبي المتوفى 328 إذا استفتي يقول :أما مذهب مالك فكذا وأما الذي أراه فكذا"[4]، وهذا ما يدل على شافعيته ورغم ذلك أفتى بمذهب مالك.

1 – أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ت: د.إحسان عباس، 1388هـ/1968م، دار صادر، بيروت، لبنان، مج2، ص:10.

2 – المرجع نفسه، مج3، ص:230.بتصرف

3 – نقلا عن: محمد رشيد، مقال بعنوان: ما هكذا يترجم، مرجع سابق، https://al-maktaba.org/book/31621/15910، ت التصفح: 2018/03/30، س:22:18، ج32، ص:408.

4 – توفيق بن أحمد الغلبزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية، مرجع سابق، ص:183.

4- حرق الكتب: لقد "كان للمنصور من الناحية الدينية موقف خاص، يمكن أن يوصف بأنه انقلاب فى ميدان المذهب والعقيدة فى الدولة الموحدية، فهو أولا قد طارد علم الفروع، أعنى دراسة تفاصيل العبادات والمعاملات"[1]، مما دفعه إلى حرق كتب الفروع، "وأمر بإحراق كتب المذهب المالكى في سائر البلاد مثل مدونة سحنون وغيرها، وأمر الناس بترك الاشتغال بعلم الرأى والخوض فيه، وأنذر من يفعل ذلك بشديد العقاب، وأمر جماعة من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة فى الصلاة وما يتعلق بها على نحو المجموعة التى جمعها ابن تومرت فى الطهارة، وذاع هذا المجموع فى المغرب، وأقبل الناس على حفظه. وكان قصد المنصور من ذلك أن يمحو مذهب مالك وأن يزيله من المغرب"[2] وكما يَرْوِى صاحب المعجب: "لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار"[3]، حتى لا يرجع إليها الناس وينشغلوا بالكتاب والسنة.

1 - محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، مرجع سابق، ج5، ص:239.

2 - المرجع نفسه، ج5، ص:239 و240.

3- عبد الواحد المراكشي، المعجب، مرجع سابق، ص:203.

المطلب الرابع: التقليد

ومن الآثار التي خلفتها المذهبية في تلك الفترة كثرة التقليد وقلة الاجتهاد، مما دفع ببعضهم إلى التحامل على المقلدين، كابن حزم الظاهري الذي "لم يحمل على تقليد المالكيين وحدهم بل على التقليد عند غيرهم من أهل المذاهب الأخرى حتى قال في اتهامه لهم جميعاً: وأما أهل بلدنا فليسوا ممن يعتني بطلب دليل على مسائلهم فيعرضون كلام الله تعالى وكلام الرسول على قول صاحبهم وهو مخلوق مذنب يخطئ ويصيب"[1]، ثم يسترسل عن نتيجة تقليدهم للأئمة وجمودهم قائلا:"وكان هذا التقليد هو الذي حال بين أولئك الفقهاء وبين الارتفاع إلى مستوى الأحداث – كما نقول اليوم – لأنهم كانوا يقفون عند رأي صاحبهم لا يتجاوزونه، وقد حدث في أيام الفتنة البربرية أن كان الناس في فزع من هجوم البربر عليهم بقرطبة فسألوا فقهاءهم الجمع بين المغرب والعشاء لئلا يتعرض لهم متلصصة البربر في المنعطفات والدروب المظلمة فما استطاعوا أن يفتوهم بذلك جموداً عند حد التقليد"[2]، ومن أكبر السيئات التي نتجت عن التقليد "أن كان أولئك الفقهاء ضعفاء في علم الحديث ومعرفة صحيحه من ضعيفه، عاجزين عن القيام بأمر الجرح والتعديل وتصحيح النقل إجمالاً، ومن المضحك في هذا الباب ما يقوله شيخ من شيوخ المالكية مقدم في مشاورة القضاة في كتاب ألفه مكتوب كله بخطه، وأقر بتأليفه وقرأه غير ابن حزم عليه (روينا بأسانيد صحاح إلى التوراة أن السماء والأرض بكتا على عمر بن عبد العزيز أربعين سنة) قال ابن حزم: هذا نص لفظه، فلا اعجب من الشيخ المذكور في ان يروي عن التوراة شيئاً من أخبار عمر بن عبد العزيز"[3].

غير أن هناك من لم يتبعوا التقليد الأعمى كالإمام الحافظ ابن عبد البر، حيث كان أبعد الناس عن التقليد الأعمى والاسترسال فيه، "فكان مجتهدا توفرت له أدوات الاجتهاد وكتبه شاهدة على ذلك، ورغم اعتماده ورجوعه لأصول مالك ومذهبه رحمه الله، إلا أنه كان منصفاً

1 – ابن حزم، رسائل، مرجع سابق، ج3، ص:21 و22.

2 – المرجع نفسه، ج3، ص:22.

3 – المرجع نفسه، ج3، ص:22.

وعادلاً متبعاً للحق فإن صادف رأيه أحد من أئمة المذاهب صوبه ورجحه، وإن خالف رأيه رأيهم رد عليهم مؤيدا قوله بالبراهين والحجج النقلية والعقلية"[1].

كما نجد أيضا المهدي الذي تحامل على الإجتهاد رغم أنه كأصل من أصول الشريعة، ويقول ابن تومرت مشيراً إلى إثبات النفي، إنه قلب للحقائق، وقلب الحقائق محال، ثم يقول (إن هذه القاعدة كثيرة الإلتباس، وعنها زل كثير من الناس، وبالجهل بها، وعدم التحقيق لها، قالوا كل مجتهد مصيب، فجعلوا هذه المقالة سلماً إلى هدم الشريعة، وإسناد الأحكام إلى غير مستندها، وعكس الحقائق عن موضوعها، وصيروا الحلال حراماً، والحرام حلالا، وجعلوا الشرع متناقضاً، واتبعوا قولة كل قائل، وإن تناقضت، واعتقدوا الحق في المجتهدات وإن تعارضت). ومعنى ذلك بقول آخر أن ابن تومرت كان يأخذ في تفسير الشريعة بالمذهب الظاهري، فيما يقول به من وجوب الاعتماد في استقاء الأحكام على القرآن والسنة دون غيرهما، وقد كان الإمام الفيلسوف ابن حزم القرطبي يرى أنه يجب أن يؤخذ بمعنى الكلمة المكتوبة والحديث الثابت، ويعتبرهما حاسمين، ومن الغريب أن الظاهرية لم تنتظم في ظل الموحدين إلى مدرسة مذهبية إلا بعد المهدي بنحو ستين عاماً في عصر الخليفة يعقوب المنصور، حيث أنه اعترف بأن الظاهرية هي المدرسة الفقهية الرسمية[2]، وحمل الناس عليها.

---

1 – يُنظر: أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر القرطبي، الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة "بسم الله الرحمان الرحيم" في فاتحة الكتاب من الاختلاف، ت: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني المغربي، ط1، 1417هـ/1997م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ص:44 و45.

2 – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، مرجع سابق، ج4، ص:203.بتصرف

المطلب الخامس: الغلو

يعتبر الغلو من بين الآثار السلبية التي تركتها المذهبية في هذه الفترة، والغلو كما عرفه ابن حجر: بأنه "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"[1]، كتبجيل المنصور لابن حزم، حيث إرتفع به "وبعلمه إلى أسمى مكانة، ومما يذكر في هذا الصدد ما يروى من أن المنصور، مر فى عودته من غزوه لأراضى البرتغال فى سنة 587 هـ 1191م بشمال مدينة ولبة، حيث توجد قرية منت ليشم، وهى بلد بنى حزم وبها قبر العلامة ابن حزم، فوقف المنصور على قبره، وهو يقول عجباً لهذا الموضع يخرج منه مثل هذا العالم، ثم قال (إن كل العلماء عيال على ابن حزم"[2]، ويقصد هنا كل علماء المذاهب المتواجدين بالمغرب والأندلس وبالأخص المالكية، ومن كلامه هذا يظهر مدى غُلوه وتعظيمه لابن حزم، لدرجة أنه قَزَّمَ كل العلماء المالكية ووصفهم بالعيال على ابن حزم، كأبي الوليد الباجي وابي بكر ابن العربي والقاضي عياض وغيرهم من علماء المغرب والأندلس.

1 – ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د.ط، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت، ج13، ص:278.
2 – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام، مرجع سابق، ج5، ص:240.

المطلب السادس: تخلي بعض العلماء عن القيام بواجباتهم

لا شك أن حياة الأمة في حياة علمائها فهم تاجها ومنارتها وهم روحها ومادة حياتها فكلما كان علماء الأمة ربانيين كان أمر الأمة في طريقه نحو العزة والرفعة والكرامة، وكلما ابتعد العلماء عن الربانية وتثاقلت نفوسهم إلى الأرض وحرصوا على مصالحهم الذاتية غباء نور الأمة ودبَّ في الأمة الضعف والجهالة.

وهذا ما حصل في الأندلس، فحين كانت الأمة تغرق في الأندلس بسبب الاجتياح النصراني المتلاطم، انصرف عدد من العلماء إلى العناية المبالغة بالفقه المذهبي وفروعه ونسوا وتناسوا واقع الأمة وآلامها.

ولقد وصف ابن حزم حال هؤلاء العلماء بقوله:"ولا يغرنك الفُساق والمنتسبون إلى الفقه، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع، المزينون لأهل الشر شرهم، الناصرون لهم على فسقهم"[1]، لأنهم كانوا يدَّعون الفقه وبعضهم ليسوا من أهله، بل منهم من غلَّب حياة العيش في النَّعيم على قول كلمة الحق ولو أمام السلطان، خِشية زوال النِّعمة والخير.

ومثال ذلك إيعاز الفقهاء إلى الأمير علي بن يوسف بحرق كتاب الإحياء للإمام الغزالي، بسبب إحساسهم بأنه ينال من مكانتهم ومنزلتهم وغطوا ذلك بأسباب فقهية[2]، حتى لا ينكشف أمرهم ويظهروا أنهم على حق.

1 – علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين، مرجع سابق، ص:87 و88.بتصرف

2 – يُنظر: حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، ط1، 1980م، مكتبة الخانجي، مصر، ص:338.

الخاتمة

الخاتمة

ومما سبق ذكره في هذا البحث الذي حاولنا فيه توضيح معنى المذهبية والآثار التي نتجت عنها ما بين القرن الخامس والسابع للهجرة، انطلاقا من قيام الدولة المرابطية إلى نهاية الدولة الموحدية، فخرجنا بعدة نتائج أهمها:

1- أن المذهبية هي أن يتخذ عالمٌ مذهبَ مجتهدٍ مذهباً له، ويتَّبِعُه في الأصول والفروع، دون التنقل بين مذاهب المجتهدين الآخرين، أو انتساباً فقط لمذهب هذا المجتهد سواءً للعالم أو العامي المقلد، لأن التنقل بين المذاهب يؤدي إلى الوقوع في التناقضات بين المسائل الفقهية، وأمَّا عدم الإعتراف بالمذاهب الفقهية السنية المعروفة فهذا أخطر من غيره، وهو ما يطلق عليه باللامذهبية.

2- تعتبر نشأة المذاهب الفقهية نابعة من المدارس الفقهية التي بدأت في عهد الصحابة رضي الله عنهم رغم عدم تصريحهم بها، ولم تأت من عدم، وكان لأصحاب هذه المذاهب الفضل في حفظ هذا الدين من زيغ أهل البدع والأهواء وما أكثرهم في زماننا هذا.

3- لقد كان لبلاد المغرب والأندلس الحظ في دخول المذاهب الفقهية في وقت مبكر بدءاً بمذهب الأوزاعي ثم الحنفي والمالكي والظاهري وغيرها من المذاهب الفقهية السنية الأخرى، مما جعلها محافظة على اتباع السنة النبوية والبُعد أكثر عن البدع والضلالات، تاركةً تاريخاً فقهياً زاهراً بالعلوم والمعارف الدينية.

4- لقد لعبت المذهبية الفقهية دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والسياسية والعسكرية والاقتصادية في دولتي المرابطين والموحدين، كما احتل الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة في المجتمع، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الدولتين قامتا على أساس ديني ودعوة إصلاحية نادت بهما كل من الدولتين.

5- لقد تركت المذهبية الفقهية في هذه الفترة بين الدولتين آثار منها الإيجابية كتوحيد الصف وجمع الكلمة بين المسلمين والتي تعزز الوحدة الدينية عقيدة وشريعة وسلوكا، وهذا ما تفقده الأمة الإسلامية اليوم.

6- كما تركت المذهبية الفقهية أيضا آثاراً سلبية والتي ما زالت بقاياها إلى اليوم، منها الجدل والمناظرات العقيمة المؤدية إلى تفكيك الأمة وزرع الفتن بين المسلمين، كما نتج عنها التعصب المذهبي مخلفا ورائه السب والتشنيع والتهديد بالقتل في بعض الأحيان، ووصف المسلمين بالمنافقين وحرق الكتب الفقهية التي لا تقدر بثمن، لا لشيء إلا لأجل الانتصار لمذهب على حساب الآخر، كما ظهر التقليد الأعمى وقلة الإجتهاد وعدم البحث عن الدليل من الكتاب والسنة، وأيضا نتج عنها الغلو سواءً في المشايخ أو في المذاهب التي ينتسبون إليها، كما تخلى بعض العلماء عن القيام بواجباتهم تجاه الأمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصد الزحف الصليبي الذي وصل إلى ديار المسلمين، وانشغلوا بأمورهم الشخصية وأمور أمرائهم متناسين قضايا الأمة.

أما التوصيات: فنوصي بالتعمق أكثر في هذا الموضوع في نفس الفترة الزمنية والمكانية على أن يشمل الجانب العقدي وما نتج عنه من آثار على الدعوة الإسلامية التي مزقت كيان الأمة المغاربية بصفة خاصة والإسلامية بصفة عامة.

وفي الأخير نسأل الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في بحثنا هذا، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم لقائه، وأن ينفع به العباد والبلاد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قائمة

المراجع

والمصادر

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
1- أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، الطبعة الأولى، 1411هـ/1990م، دار قتيبة، بيروت، لبنان.
2- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، 1388هـ/1968م، دار صادر، بيروت، لبنان.
3- أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، مادة "ذهب"، المكتبة العلمية، بيروت.
4- أحمد تيمور باشا، نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفي – المالكي – الشافعي – الحنبلي، تقديم: محمد أبو زهرة، الطبعة الأولى، 1411 هـ/1990م، دار القادري، بيروت، لبنان.
5- توفيق بن أحمد الغليزوري الإدريسي، المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس (نشأتها-أعلامها-أصولها-وأثرها)، تصدير: إبراهيم بن الصديق الغماري، تقديم: محمد بن الأمين بوخبزة التطواني الحسني وحسن بن عبد الكريم الوراكلي، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006م، مكتبة ودار ابن حزم، الرياض، المملكة العربية السعودية.
6- حامد محمد الخليفة، انتصارات يوسف بن تاشفين، الطبعة الأولى، 1425هـ/2004م، مكتبة الصحابة، الشارقة، الإمارات.
7- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، 1379هـ، دار المعرفة، بيروت.
8- ابن حزم، رسائل ابن حزم، تحقيق:إحسان عباس، الطبعة الأولى، 1981م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.
9- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين"، الطبعة الأولى، 1980م، مكتبة الخانجي، مصر.

10- خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، التمذهب دراسة نظرية نقدية، الطبعة الأولى، 1434هـ/2013م، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

11- ابن رجب الحنبلي، الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة، قراءة وتقديم: مركز المربي للاستشارات التربوية والتعليمية، الطبعة الأولى، 1437هـ/2016م، المربي، المملكة العربية السعودية.

12- سلامة محمد سليمان الهدفي، دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية، 1405هـ/1985م، دار الندوة الجديدة.

13- شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، الطبعة الثانية، 1413هـ/1993م، دار الكتاب العربي، بيروت.

14- شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثالثة، 1405هـ/1985م، مؤسسة الرسالة.

15- عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، الطبعة الأولى، 1403هـ/1983م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

16- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: صلاح الدين الهواري، الطبعة الأولى، 1426هـ/2006م، المكتبة العصرية-صيدا، بيروت، لبنان.

17- عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، طبعة المدني، 1365هـ/1946م، دار الفكر العربي، القاهرة.

18- عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي.

19- علي الرضا الحسني، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، الطبعة الأولى، 1431هـ/2010م، دار النوادر، سوريا.

20- علي محمد الصلابي، تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، الطبعة الثالثة، 1430هـ/2009م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

21- عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، الطبعة الأولى، 1993م، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، المملكة المغربية.

22- أبي عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر القرطبي، الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة "بسم الله الرحمان الرحيم" في فاتحة الكتاب من الاختلاف، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني المغربي، الطبعة الأولى، 1417هـ/1997م، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

23- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مادة "ذهب"، 1399هـ/1979م، دار الفكر.

24- القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق: ابن تاويت الطنجي، الطبعة الأولى، 1965م، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

25- محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الاسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة، جمهروية مصر العربية.

26- محمد الأمين بلغيث، دولة المرابطين بالأندلس من مدينة السياسة إلى مدينة العلم، الطبعة الأولى، 2009م، دار الوعي، الجزائر.

27- محمد الأمين بلغيث، نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1428هـ/2007م، دار الخلدونية، الجزائر.

28- محمد المنوني، العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين، الطبعة الثانية، 1397هـ/1977م، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، المغرب.

29- محمد بن حسن شرحبيلي، تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، 1421هـ/2000م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

30- محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.

31- محمد سعيد رمضان البوطي، اللامذهبية أخطر بدعة تهدد الشريعة الإسلامية، 1990م، دار الهدى، الجزائر.

32- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الطبعة الثانية، 1411هـ/1990م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

33- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، الطبعة الرابعة، 1417هـ/1997م، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

34- محمّد مرتضى الحسني الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق:علي هلالي، مراجعة: عبد الله العلايلي وعبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، 1407هـ/1987م، مطبعة حكومة الكويت، الكويت.

35- المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثالث، 1411هـ/1991م، دار صادر، بيروت، لبنان.

- قائمة المذكرات:

1- جبريل بن المهدي بن علي ميغا، دراسة تحليلية مؤصلة لتخريج الفروع على الأصول عند الأصوليين والفقهاء (دراسة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في أصول الفقه)، 1421هـ-1422هـ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

2- عبد الرحمان عبان، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم على عهد الموحدين دراسة في موضوعاته وبنيته (إبن معطي نموذجا)، (مذكرة من متطلبات شهادة الماجستير في الأدب العربي، المشرف: العيد جلولي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر)، 1427-1428هـ/2007-2008م.

3- مليكة صوالح، الانسلاخ من المذاهب الفقهية حقيقته-أسبابه وآثاره في الفقه الإسلامي (مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفقه وأصوله)، 1426-1427هـ/2005-2006م، جامعة الحاج لخضر بباتنة، الجزائر.

- قائمة المجلات العلمية:

1- مسعود بن موسى فلوسي، مقال بعنوان: المذهب المالكي والسلطات المتعاقبة في الجزائر، الملتقى الوطني الأول (المذهب المالكي بالجزائر)، 3-2 ربيع الأول 1425هـ/21-22 أفريل 2004م، مجلة البحوث العلمية والدراسات الاسلامية بجامعة الجزائر، العدد الأول.

- البرامج الإلكترونية:

1- سيف بن علي العصري، مقال بعنوان: مقدمات فقهية نافعة، المقدمة الثالثة: الفرق بين التمذهب والتعصب، تاريخ المقال:2006/27/06م, الساعة:08:17، أرشيف ملتقى أهل التفسير 8، المكتبة الشاملة، تاريخ التصفح:2017/12/05م، الساعة:17:56.

2- الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، المكتبة الشاملة، تاريخ التصفح:2017/12/23م، الساعة:17:30.

- قائمة المواقع الإلكترونية:

1- حسن علي حسن، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (المغرب الإسلامي)، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/32136/714، تاريخ التصفح:2018/03/12، الساعة:22:42.

2- راغب السرجاني، الأندلس من الفتح إلى السقوط، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/31725، تاريخ التصفح:2018/03/01، الساعة:23:12.

3- صفي الدين محي الدين، دخول المذهب المالكي إلى الأندلس وعوامل انتشاره فيها- دورية كان التاريخية- العدد الثالث عشر؛ http://www.kanhistorique.org/Archive/2011/Issue1

3/Maliki، تاريخ النشر: سبتمبر 2011، تاريخ التصفح:2018/02/10، الساعة:22:15.

4- مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، نقلها وأعدها للشاملة: أبو سعيد المصري، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/32136/3254، تاريخ التصفح:2018/03/02، الساعة:00:20.

5- محمد رشيد، مقال بعنوان: ما هكذا يترجم للإمام مالك، أرشيف ملتقى أهل الحديث-1، تاريخ المقال: 10جوان2004م، الساعة:03:42، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/31621/15910، تاريخ التصفح:2018/03/09، الساعة:20:12.

فهرس

الآيات

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الصفحة
﴿وَمِنَ اَهْلِ اِلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾(التوبة101).	التوبة	32

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

ملخص

ملخص:

عاش العالم الإسلامي منذ القديم صراعات مذهبية عديدة تركت ورائها جراحاً عميقة مست كيان الأمة الإسلامية وزعزعت أمنها واستقرارها، ومن بينها بلاد المغرب والأندلس في عصر دولتي المرابطين والموحدين بين القرن الخامس والسابع للهجرة التي كانت مسرحاً لهذا الصراع الدائر بين المذاهب الفقهية التي كانت سائدة في تلك الفترة، مما أدى بذلك إلى ترك آثار سلبية وإيجابية أسدلت بظلالها على سير الدعوة الإسلامية في تلك البلاد، والتي مازالت بعض مخلفاتها موجودة في المجتمع المغاربي إلى يوم الناس هذا، وكوننا عاصرنا بعض مخلفاته وهو ما دفعنا إلى دراسة هذا الموضوع للوقوف على أصل هذا الصراع والعوامل التي ساعدت في تأجيجه، حتى نفهم ما يدور من صراعات مذهبية في عصرنا الحالي وبمنطقتنا المغاربية خاصة.

Abstract:

The Islamic world has experienced many doctrinal conflicts since ancient times, leaving behind the deep wounds of the Islamic Ummah and the destabilization of its security and stability, including the Maghreb and Andalus in the era of the Al-Mourabitin and Al-Mouahidine States between the fifth and seventh centuries of migration, which was the scene of this conflict between the doctrines of jurisprudence that prevailed in those period. This has led to negative and positive effects that have overshadowed the progress of the Islamic call in that country, and some of whose residues still exist in the Maghreb society to this day of people, and the fact that we have some of our legacy, which led us to study this subject to find out the origin of this conflict and the factors that helped fuel it, So as to understand what is going on in the sectarian conflicts in our time and our Maghreb region in particular.